الأم .. فى التاريخ

(شكوى أم فصيحة)

ذات يوم أقبلت امرأة «أبى الأسود الدؤلى»[1] على «معاوية»[2] ـ وعنده وجوه قريش .. وأشراف العرب. ومن بينهم أبو الأسود الدؤلى ـ وقالت :

ـ السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .. إن الله جعلك خليفة فى البلاد .. ورقيباً على العباد، يستسقى بك المطر .. ويستنبت بك الشجر .. يتوجه لك النداء .. وتؤلف بك الأهواء .. يأمن بك الخائف .. ويرجع بك الجانف .. فأنت الخليفة المصطفى .. والإمام المرتضى .. فأسأل الله لك النعمة فى غير تغيير .. والعافية من غير تعذير ..

فقال لها :

ـ ما حاجتك؟

فقالت :

ـ لقد ألجأنى إليك يا أمير المؤمنين أَمْرٌ ضَاق علىّ فيه المنهج .. وتفاقم علىّ فيه المخرج .. لأمر كرهت عاره .. لما خشيت إظهاره. فلينصفنى أمير المؤمنين من الخصم .. فإنى أعوذ بقوته من العار الوبيل .. والأمر الجليل .. الذى يشتد على الحرائر .. ذوات البعول الأجائر ..

---

(١) أبو الأسود الدؤلى (٦٠٥ـ٦٨٨) م.

(٢) معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ = ٦٨٠م).

فقال لها معاوية :

ـ ومن بعلك هذا الذى تصفين من أمره المنكر .. ومن فعله المشهر؟..

فقالت :

ـ هو أبو الأسود الدؤلى ..

فالتفت معاوية إلى أبى الأسود .. وقال له :

ـ ما تقول هذه المرأة؟

فقال أبو الأسود الدؤلى :

ـ هى تقول من الحق بعضاً .. ولن يستطيع أحد عليها نقضاً .. أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق .. وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق ..

فقال له معاوية :

ـ قُلْ وأخبرنا سبب طلاقها ..

فقال :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت .. ولا .. لأى هفوة حضرت، ولكنى كرهت شمائلها .. فتقطعت عنى حبائلها ..

فقال معاوية :

ـ وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟..

قال :

ـ يا أمير المؤمنين ..إنك مهيجها علىّ بجواب عتيد .. ولسان شريد ..

فقال له معاوية :

ـ لابد لك من محاورتها .. فاردد عليها قولها عند مراجعتها ..

فقال :

ـ يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصخب .. دائمة الذرب .. مهينة للأهل .. ومؤذية للبعل .. مسيئة إلى الجار .. مظهرة للعار .. إن رأت خيراً كتمته .. وإن رأت شراً أذاعته ..

فقالت المرأة :

ـ والله لولا مكانة أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين .. لرددت عليك بوادر كلامك .. بنوافذ أقرع بها سهامك .. وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلاً .. ولا أن تظهر لأحد جهلاً ..

فقال لها معاوية :

ـ عزمت عليك لما أجدتيه ..

فقالت :

ـ يا أمير المؤمنين .. ما علمته إلا سؤلاً جهولاً .. ملحاً بخيلاً .. إن قال فَشَرٌ قائل.. وإن سكت فذو دغائل .. ليثٌ حين يأمن .. وثعلبٌ حينما يخاف .. وشحيحٌ حين يُضَاف .. إن ذكرَ الجود انقمع لما يعرف من قصر رشائه .. ولؤم آبائه.. ضيفُه جائع وجارُه ضائع .. لا يحفظ جارا .. ولا يحمى دياراً .. ولا يدرك ناراً.. أكْـرَمُ الناس عليه مَنْ أهانه .. وأهونُهم عليه من أكرمه.

فقال معاوية :

ـ سبحان الله لما تأتى به هذه المرأة من السجع..

فقال أبو الأسود :

ـ أصلح الله أمير المؤمنين .. إنها مطلقة. ومَنْ أكثر كلامـا من المطلقة ؟

فقال لها معاوية :

ـ إذا كان رواحاً (أى العشى) فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء ..

فلما كان الرواح .. جاءت ومعها ابنها قد احتضنته .. فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع منها ابنها ..

فقال له معاوية :

ـ يا أبا الأسود، لا تجعل المرأة أن تنطق بحجتها ..

فقالت المرأة :

ـ يا أمير المؤمنين .. هذا ولدى .. وفلذة كبدى .. كان بطنى له وعاء .. وحجرى له فناء .. وثديى له سقاء .. أُلاحظُه إذا قام .. وأحفظه إذا نام .. فلم أزل كذا مدة أعوام .. فلما كمل فصاله .. واشتدت أوصاله وحسنت خصاله .. أراد أبوه الآن أخْذَهُ منّى .. وإبعادَهُ عنّى .. فَباللـه عليك أنصفنى ..

فقال معاوية :

ـ قد سمعت مقالها، فما عندك من الجواب ؟

فقال أبو الأسود :

ـ صدقت .. ولكنى حملته قبل أن تحمله .. ووضعته قبل أن تضعه .. وأريد أن أعلّمه العِلْم، وأفهمه الحكم ..

فقال معاوية لها :

ـ ما تقولين فى جواب كلامه أيتها المرأة ؟

فقالت المرأة :

ـ صدق فيما قاله .. ولكن حمله ضعيفاً .. وحملته ثقيلاً .. ووضعه شهوة .. ووضعته كُرهاً ..

فتعجب معاوية من فصاحتها وقال لأبى الأسود :

ـ ادفع لها ولدها .. فهى أحق به منك ..

(بين الإسكندر(*) .. وأمــه)

حكى «السدى» عن أشياخه قال : كانت أُم «الإسكندر» عاقلة فاضلة حازمة ـ واسمها (روفية) ، وقيل روقية ـ فلما فتح ولدها الدنيا، ودانت له الملوك كتبت إليه :

ـ «من «روفية» أُم الإسكندر الضعيف، الذى بقوة ربه الأعظم قوى، وبقدرته قهر، وبعزته استعلى ..

«يا بنى، لا تدع للعجب فيك مساغاً؛ فإن ذلك يؤذيك .. ولا للعظمة والكبرياء فيك مطمعاً؛ فإن ذلك يضعك .. وذلل نفسك للذى رفعك .. واعلم أنك عن قليل مُحوِّلٌ عما أنت فيه، كما تَحَـوَّلَ من غيرك إليك .. وإياك والشح؛ فإنه يرديك .. وعليك بنور العدل؛ فإنه يهديك .. وانظر إلى ما جمعت من الأموال وكنزت من الكنوز، فعجل حمله كله إلىَّ على فرس مع رجل .. وإياك والحقوق المحرمة عليك .. والسلام» ..

فلما قرأ كتابها .. جمع أرباب دولته، وعظماء مملكته، وحكماء حضرته .. وقرأ عليهم كتابها، وقال :

ـ «سمعاً وطاعة؛ فإن طاعة الوالدة مفترضة .. والسمع والطاعة للرب الأعظم ولها» ..

(*) الإسكندر الأكبر الملقب بذى القرنين (٣٥٦ـ٣٢٣ ق.م).

ثم قال :

ـ «كيف أحمل إليها أموالى وكنوزى على فرس؟».

فاستعظموا ذلك .. فقال :

ـ «إنما طَـلَـبَـتْ أسماءِ الكنوز، وعددها» .. فكَتَب أساميها، وبعث بها إليها مع رجل على فرس ..

فلما قرأت كتابه فرحت حيث فهم قصدها ..

وقال «وهب» : فإن ذلك الكتاب عندهم مكتوب فى خزائن الروم فيه أسماء كنوزه وأمواله[1]..

(١) مرآة الزمان ص٣٣٣ ـ سبط ابن الجوزى...

* مكانة الأم عبر التاريخ

(وإنما بالأمهات الأمم(*))

فى ظلال الاحتفال بهذا العيد الإنسانى النبيل أود أن تسع «زكيبة البريد» هذه الكلمة الموجزة عن الأمومة ومكانها قديماً وحديثاً ..

لقد قدر قدماء المصريين الأم حق قدرها، ولاسيما فى عهد الملك العادل «بكخوريوس» ، ولقبوها باللقب المصرى العريق «بنت بر» ومعناها «ربة البيت» .

وكان الرجل خير معين لها فى المنزل والمجتمع كما تنطق بذلك وصايا الحكيم المصرى «طاحوتب» ..

* * *

ومن تقدير الإغريق للأمومة أنهم عبدوا «سيبيل» أم الآلهة ..

وقلدهم الرومان فى ذلك عام ٢٥٠ قبل الميلاد، وإن كانوا دونهم فى تقدير المرأة بوجه عام حتى فى العصر العلمى الذى هو أزهى عصور الرومان ..

* * *

(*) محمد الغزالى حرب ـ الأهرام.

وأما العرب فقد بلغ تقديرهم لأمهاتهم أن كثيراً من قبائلهم آثرت الانتساب إلى أمهاتها على الانتساب إلى آبائها ..

وكذلك صنع بعض ملوكهم وشعرائهم، فمن القبائل المنتسبة إلى أمهاتها : هذيل وكنانة وأسد وعدوان ومزينة وعفراء وسلول ..

ومن الملوك المنتسبين إلى أمهاتهم جميع ملوك المناذرة الذين كانوا يفاخرون بالانتساب إلى أمهم السيدة «ماء السماء» وهى «ماوية بنت عوف» ملكة العراق وأم ملوكها، ومنهم أيضاً «عمرو بن هند» ..

أما الشعراء المفاخرون بأمهاتهم فمنهم «لبيد بن ربيعة»[1] القائل «نحن بنو أم البنين الأربعة» والشاعر الآخر صاحب البيت المشهور :

أنا ابن دارة، معروفا بها نسبى
وهل بدارة، يا للناس، من عار؟

* * *

وقد قدر العرب الأمومة فى خرافاتهم كما قدروها فى حقائقهم، فزعموا أنهم يتفاءلون بالهدهد؛ لأنه أبر الطيور بأمه، حتى إنه جعل قبرها فى رأسه، فكافأه الله على هذا البر بأمه بذلك التاج الجميل الذين يزين رأسه .. وقد ذكر الجاحظ ذلك فى كتاب الحيوان ..

فلما جاء الإسلام بارك هذا التقدير النبيل للأم، وأشعرهم أن «**الجَنَّة تحت أقدام الأمهات**» وأن الأم أفضل من الأب خمس مرات ..

وحدثهم أن الله أوحى إلى «أم موسى بن عمران» بما أوحى به إلى أبيه .. وفَضَّلَ «أم عيسى بن مريم» تفضيلاً ..

* * *

ومن علماء الإسلام المنسوبين إلى أمهاتهم «مجد الدين بن تيمية» ـ (ت٦٥٢هـ ـ ١٢٥٤م) ـ، وحفيده «تقى الدين بن تيمية» ـ (٦٦١ـ ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ـ١٣٢٨م) ـ .. ومن شعرائهم ابن الدمينة وابن الطثرية ..

فإذا التفتنا إلى الغرب وجدناهم فى أمريكا يحتفلون بعيد الأم منذ أن أصدر الرئيس «ولسون» ـ (١٨٥٦ ـ ١٩٢٤م) ـ مرسومًا بذلك فى يوم (**٩ من مايو ١٩١٤**) ..

وفى بلجيكا أقاموا تمثالاً للأمومة فى مدينة مادلين ..

وفى فرنسا يتحدثون عن بِرّ عظمائهم بأمهاتهم ..

ولا سيما «نابليون بونابرت» ـ (١٧٦٩ـ١٧٢١م) ـ وأناتول فرانس ..

وما أبدع ما قاله «شكسبير» ـ (١٥٦٤ـ١٦١٦م) ـ :

ـ «لا توجد وسادة ناعمة فى العالم مثل حضن الأم، ولا وردة أجمل من ثغرها الباسم» ..

ورحم الله خليل مطران ـ (١٨٧١ـ١٩٤٩م) ـ القائل :

إن لم يكن أم فلا أمة وانما بالأمهات الأمم

* * *

من الشعراء الذين نُسِبُوا لأُمهاتهم

قد يكون انتساب الإنسان ـ من حيث اسمه ـ إلى أُمه عائداً إلى التفاؤل، أو التبرك بها، أو الحنين إليها، أو الاعتزاز، والتفاخر بها، أو هكذا قضت به العادات والتقاليد.

وها نحن بصدد ذِكْر أسماء بعض الذين عثرنا عليهم من الشعراء الذين اشتهروا بأسماء أُمهاتهم .. فمنهم :

* **(ابن شعوب)** : أُمه شعوب .. من (بنى خزاعة) .. واسمه : (عمرو بن سمى ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة)..

* و**(ابن أُم حَوليّ)** : من (بنى الحارث بن همام)..

* و **(عطّاف بن بَشّة الشيبانى)**..

* و **(ابن طوعة الشيبانى)** : واسمه : (ناصر بن عاصم) .. وأُمه : (طوعة) ..

* و **(ربيعة بن غزالة)** الكندى : شاعر حليف بن شيبان .. وأُمه (غزالة) .

* و **(ابن حجلة الأسدى)**، وهى أُمه .. واسمه : (عبد بن معرض) ..

* و **(السندرى بن عيساء الجعفرى)**، وهى أُمه..

* و **(حبيب بن خُذْرة الهلالى)** ..

* و **(ابن عَيزارة الهذَلى)**، وهو : (قيس بن خويلد)..

* و **(قُطبة بن الزبعرى)**، وهى أُمه وهو (قطبة بن زيد بن سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة بن كنانة)..

* و (قيس بن الحدادية)، وهى أُمه ..

* و (عمرو بن الصماء الخزاعى)..

* و (العريان بن أُم سهلة النبهانى) .. وهو من (طيئ)..

* و (ابن الشجراء)، من (حُرقة جهينة) ..

* و (حميد بن طاعة السكونى) ..

* و (ابن الدُّمينة الخثعمى)، واسمه (عبد الله)..

* و (يزيد بن ضبة)، أُمه (ضبة)، وأبو : (مقسم)..

* و (ابن الطثرية)، وهو (ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم) ..

* و (ابن فسوة)، وهو (عتيبة بن مرداس الكعبى)..

* و (ابن الهيُجمانة العبسى) ..

* و (ابن أُم الحَزنة العبدى) .. وأُم حزنة : أُمه .. وهو : (ثعلبة بن حزن بن زيد مناة ابن الحارث بن ثعلبة بن سليمة بن مالك) ..

* و (عمرو بن مبردة) .. عبدى..

* و (ابن الذبية)، وهى أُمه .. واسمه : (ربيعة بن عبدياليل)..

* و (شبيب بن البرصاء)، وهى أُمه ..وهو (شبيب بن زيد بن جمرة بن عوف بن أبى حارثة)..

* و (بعض بنى أُم قرفة)، وأُم قرفة اسمها : (فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى)، وأبوهم (مالك بن حذيفة بن بدر)..

* و (**ابن ميادة المرى**)، من بنى غيظ بن مرة، واسمه (الرماح بن الأبيرد بن ثريـان) ..

* و (**بشامة بن الغدير**)، وهى أُمه، وهو (بشامة بن عمرو بن هلال بن واثلة بن سهم بن مرة) ..

* وأخوه (**أسعد بن الغدير**) .. شاعر، وهو خال (أبى سلمى) ..

* و (**زميل ابن أُم دينار**)، أبوه : (أُبير بن عبد مناف) من (مازن بنى فزارة) ..

* و (**قَعْـنَب بن أُم صاحب الفزارى**) ..

* و (**بشر بن شلوة التغلبى**)، وشلوة هى أُمه، وهو (بشر بن سوادة) ..

* و (**ابن الواقفية السدوسى**)، ينسب إلى أُم من أُمهاته، وهو (عبد الله بن عبد العزى كليب بن الحارث بن سدوس) ..

* و (**ابن دغماء العجلى**)، أمه (دغماء بنت مرة) .

* و (**عبد المسيح بن عسلـة الشيبانى**)، أُمه (عسلة بنت عامر بن شراكة) من غسان ..

* وأخوه : (**حرملة بن عسلة**) ..

* و (**عِتْبان بن وصيلة**)، وهى أُمه .. وهو (عِتْبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله) ..

* و (**عمرو بن الإطنابة**)، وهى أُمه.

* * *

أيضاً من نُسِبَ لأُمــه ..

* (**إبراهيم بن هَرَاسة**)، وهى أُمه .. وهو (أبو إسحاق إبراهيم بن سلمة الكوفى).

* و (**أحمد بن تيمية**)، وهى أُم أحد أجداده الأبعدين .. وهو (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القاسم بن محمد الحرافى) .. الحافظ المعروف..

* و (**أحمد بن الخاضبة**)..

* و (**إسماعيل بن عُلَـيَّـة**)، وهى أُمه .. وقيل : جدته أُم أُمه .. وهو (أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى).

* و (**أيوب بن القِرِّيَّـة**)، وهو لقب أمه، واسمها : (جُمَّاعة) مثل (رُمَّانة) بنت (جشم بن ربيعة بن زيد مناة)، وهو (أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة بن سَلَمة).

* و (**بُـدَيْل بن أم أحْرم**)، واسم أبيه : (سَلَمة). وهو صحابى كان بمصر.

* و (**بشير بن الخَصَاصِيَّـة**)، وهى أُمه، وكان اسمه (رحم بن معبد بن شراحيل السدوسى)، فغيره النبى صلى الله عليه وسلم وسماه (بشيرا).

* و (**بشير بن عقربة**)، عقربة : أُمه .. والعقربة فى كلام العرب : المرأة العاقلة الخدوم .. وبشير صحابى، وكنيته (أبو اليمان)..

* و (**بلال بن حمامة**) مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه (رباح).

* و (**جُبَيْر بن بُحينة**) : صحابى، و (بُحينة) لقب أُمه، واسمها (عبدة)..

* و (**جعفر بن عقاب**)، شاعر، وعقاب : أُمه ... وهو (جعفر بن عبد الله بن قبيصة).

* و (**الحارث بن مالك بن البرصاء**) : صحابى. و (البرصاء) اسم أُم أبيه، وهى لقبها..

* و (**خُفَاف بن ندبة**)، وندبة هى أُمه .. واسم أبيه (عُميْر بن الحارث بن الشريد) ..

* و (**رافع بن غُنْـجَدة**). وغُنْـجَدة هى أُمه، واسم أبيه (عبد الحارث) ..

* و (**الرماح بن ميادة**)، وميادة اسم أُمه، وهو (الرماح بن أبرد بن زبّان بن سراقة ابن حرملة) ..

* و (**زياد بن هندابة**)، وهى أمه .. واسمه (زياد بن حارثة بن عوف بن قتيرة بن حارثة) ..

* و (**سعد بن حَـبْـتَـة**)، وهى أُمه، واسمه (سعد بن بَحْير).

* و (**سعد بن الحنظلية**)، وهى أُم جده. وهو (سعد بن عقيب).

* و (**سعد بن خَـوْلة**)، وهى أُمه. وهو (سعد بن خولى) ..

* و (**سليك بن سنان بن سُلكة**)، وسلكة : أُمه، وهو من الشعراء ..

* و (**سويد بن كُراع**) وكُراع : أُمه، وهو (سويد بن عمرو بن كُراع، شاعر معروف).

* و (**سهل بن الحنظلية الحارثى**)، والحنظلية هى أُم أبيه، وهو (سهل بن عمرو بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة) .. صحابى..

* و (**سهل بن البيضاء**)، البيضاء : لقب أُمه، واسمها (دعد بنت جحدم)، وهو (سهل بن وهب بن ربيعة) صحابى..

* و (**شرحبيل بن حسنة**)، وهو (شرحبيل بن عبد الله بن المطاع)، و (حسنة) : أُمه ..

* و (**صفوان بن البيضاء**)، و (البيضاء) : لقب أُمه، واسمها (وعد)، وهو (صفوان بن وهب) ..

* و (**عاصم بن بهدلة**)، وبهدلة : اسم أُمه، وهو (عاصم بن أبى النَّجُود)..

* و (**عبد الله بن أبى سلول**) وسلول هى أُمه ..

* و (**عبد الله بن أُم حرام**)، وهو (عبد الله بن عمرو بن قيس)..

* و (**علقمة بن الغغواء**)، والغغواء : لقب أُمه ..

* و (**عمرو بن شعواء اليافعى**) : صحابى، وشعواء : أُمه ..

* و (**عوف بن عفراء**)، وعفراء : أُمه، واسمه : (عوف بن الحارث بن رفاعة البخارى).

* و (**مالك بن نهيلة**)، نهيلة : أُمه، وهو (مالك بن ثابت المزنى)، الصحابى.

* و (**محمد بن الحنفية**)، هو (محمد بن علىّ بن أبى طالب) رضى الله تعالى عنه .. و (الحنفية) : أُمه.

* و (**محمد بن حبيب**) الأديب، و حبيب : اسم أُمه ..

* و (**محمد بن عائشة**)، وهو (محمد بن خالد)..

* و (**محمد بن شرف القيروانى**)، شرف : اسم أُمه..

* و (**محمد بن القوطية**)، والقوطية : أُمه .. وهو (محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسى الإشبيلى)..

* و (**محمد بن ماجه**)، ماجه : اسم أُمه، وهو (محمد بن يزيد بن ماجه). أحد أُصحاب الكُتب الستة المشهورة.

* و (**مسعود بن العجماء**)، والعجماء اسم أُمه، وهو (مسعود بن الأسود بن حارثة) : صحابى.

* و (**معاذ بن عفراء**) وعفراء : أُمه، وهو (معاذ بن الحارث بن رفاعه البخارى).

* و (**يعلى بن سيابة**)، وهى اسم أُمه، وهو (يعلى بن محة الثقفى)..

* و (**يعلى بن مُنْية**)، وهى أُمه، وقيل : جدته، وهو (يعلى بن أُمية بن عيدة التميمى الملكى) حليف قريش..

* و (**يونُس بن حبيب**) الأديب الشاعر، وحبيب : أُمه ..